

الحلقة الثانية والثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هي نوعية الكلام الذي يصدر عنك مستمعي؟ هل هو كلامٌ بناء وإيجابي ويأتي بالخير والسلام على السامع ويدفعه إلى العمل الإيجابي؟ أم هو كلام سلبي وهدام يحطم النفوس ويجعلها تتذمر وتفشل وتقوم بأعمال سلبية مؤذية لنفسها وللآخرين؟ هل تظن مستمعي أن الكلام الذي تتفوه به هو مجرد كلام صادر عن اللسان؟ أم هو كلام يعبر عن حالة القلب أو الفكر؟ وتعبير آخر هل هو صادر من القلب أو العقل وليس مجرد كلام يتلفظ به اللسان؟

حول هذا الموضوع الهام تكلم المخلص يسوع المسيح إلى جماعة الفريسيين اليهودية المتمزقة فقال: «اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وَثَمَرَهَا جَيِّدًا، أَوْ اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وَثَمَرَهَا رَدِيًّا، لِأَنَّ مِنَ الثَّمَرِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ. يَا أَوْلَادَ الْأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ. الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ» (متى ١٢: ٣٣-٣٧).

لقد تحدت المسيح من واقع البيئة الزراعية التي كان يعيشها معظم الناس في زمانه، لكي يشرح ما يريد أن يقوله لهم. فأكد حقيقة معروفة لدى الجميع: أنه عندما تكون الشجرة جيدة يكون ثمرها جيداً، وعندما تكون الشجرة رديئة يكون ثمرها رديئاً. وبالتالي نستطيع معرفة نوعية الشجرة من ثمرها. ثم طبّق المسيح هذه الحقيقة على موضوع الكلام الذي يصدر عنّا.

صديقي المستمع، إذا كانت الشجرة الجيدة تعطي ثمرًا جيداً، فلا بدّ أن يكون الكلام الصالح يخرج من داخل الإنسان في القلب أو الفكر، كما وصفه المسيح. وإذا كانت الشجرة الرديئة تعطي ثمرًا رديئاً، فكذلك الكلام الشرير يخرج من داخل الإنسان أي من قلبه وفكره. وكان المسيح بعد أن تحدت عن ثمر الشجرة الجيدة وثمر الشجرة الرديئة، قد أعلن نتيجة منطقية هامة ألا وهي: «فإنَّهُ مِنْ

فُضِّلَةُ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُّ». أو بتعبير آخر: «لأن الفم يتكلم بما يفيض به القلب». وهذا يؤكد أن كلام الإنسان ليس مجرد كلام يصدر عن اللسان، لكنه يعبر عما في قلب الإنسان أو فكره.

وهنا توجه المسيح إلى سامعيه سائلاً: «كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟» لأن «الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور». وهكذا وضع المسيح الأساس الصحيح لمعالجة مشكلة مصدر الكلام، الذي هو القلب. ولهذا تحدث المخلص المسيح إلى جماعة الفريسيين في مناسبة أخرى قائلاً لهم: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تَتَّقُونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهَمَّا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَانِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً. أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّ الْأَعْمَى! نَقِّ أَوْلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيُّضًا نَقِيًّا» (بشارة متى ٢٣: ٢٥-٢٦).

لقد كان اهتمام الفريسيين أن ينظفوا أجسادهم من الخارج، وأن يكون كلامهم منمقاً جميلاً، لكي يخدعوا الناس ويظهروا بشكل لائق أمامهم. لكن قلوبهم من الداخل كانت مليئة بالفساد والشرور. ولهذا نجد أن المسيح دعاهم لكي ينقوا أولاً قلوبهم من الداخل، لكي يكون كلامهم ومظهرهم نقياً أيضاً. وهنا نصل إلى هذه النتيجة المنطقية الهامة: أنه علينا أولاً أن نظهر قلوبنا من الداخل لكي يكون كلامنا مفيداً وإيجابياً وبناء حقاً. ولا ينفع أن نحسن مظهرنا الخارجي وكلامنا بينما تبقى قلوبنا من الداخل مليئة بالشرور. لعل السؤال الآن: كيف بإمكاننا تطهير قلوبنا من الداخل؟

مستمعي الكريم، أجل كيف بإمكاننا تطهير قلوبنا من الداخل؟ هذه هي المشكلة الأساسية التي يعاني منها الإنسان على مر العصور والأجيال وفي كل مكان. هل تعلم مستمعي أننا كبشر فإن قلوبنا جميعاً شريرة وفسادة، وأن هذا كان نتيجة لسقوط الإنسان في الخطية وعصيانه على الله؟ أي لا يوجد بين البشر ما يسمى بقلب طاهر، أو قلب نقي. وهذا الخطأ يقع به مع الأسف الكثيرون. إذ يقولون فلان من الناس قلبه أبيض وطاهر، رغم أنه يسلك سلوكاً فاسداً أو يتكلم بكلمات رديّة. لكن الحقيقة أن هذا الوصف غير صحيح البتة، إذ لا وجود لقلب طاهر، لأن جميع البشر خطاة.

اسمع صديقي كيف وصف الكتاب المقدس حالة البشر قال: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِالسِّنِّتِهِمْ قَدْ مَكَّرُوا. سِمُّ الْأَصْلَالِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُّهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمِرَارَةً» (رومية ٣: ١٠-١٤).

صحيح أنه ليس كل البشر متساوون في الشر، لكننا جميعا ذوي قلوب شريرة وفسادة ولا يوجد صلاح فينا. ولهذا تخرج الكلمات الرديئة والفسادة من أفواهنا. ولقد أكد المسيح في نهاية حديثه: «إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ»

نعم، سيحاسبنا الله على كل كلمة رديئة تقوّهنا بها في يوم الدينونة المخيف. لكن هل تعلم مستمعي أن المخلص المسيح قد تنازل من السماء وهو كلمة الله الأزلي لهذه الغاية بالذات أي لكي يعالج مشكلة الخطيئة الكامنة في قلوبنا؟ لهذا مات على الصليب لكي يكفر عن خطايانا ويطهر قلوبنا من الداخل؟ وعندما تتطهر قلوبنا من الداخل نستطيع أن نتكلم بالكلام الصالح المفيد والإيجابي وننجو من الدينونة. ألا تود مستمعي أن يكون قلبك طاهراً ونظيفاً؟ أولاً ترغب أن تتفوه بالكلمات المفيدة والبناءة؟ تعال بإيمان صادق إلى المخلص المسيح فهو وحده القادر أن يطهر قلبك من الداخل، وأن يجعلك تتكلم بما هو إيجابي ومفيد.